**المبحث الثَّاني: قضيَّة عَمَلِ الشِّعـر**

لقد دلَّت القرائنُ وأشارَ كلامُ ابن خلدون نفسه إلى أنَّ هذه القضيَّة مستوحاة برُمَّتها من باب عَقدَهُ ابن رشيق في العمدة بعنوان: بابُ عَمَلِ الشِّعْرِ وشَحْذِ القريحَة، مع ما نجده من براعة ابن خلدون في التلخيص وإلحاق المعنى بالمعنى والترتيب الحَذِق، قال ابن خلدون:" اعلم أنَّ لعمل الشِّعر وإحكام صناعته شروطا أوّلها: الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتّى تنشأ في النّفس ملكة ينسج على منوالها ويتخيّر المحفوظ من الحرّ النّقيّ الكثير الأساليب، وهذا المحفوظ المختار أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعر من الفحول الإسلاميّين مثل ابن ربيعة وكثيّر وذي الرّمّة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتريِّ والرَّضيِّ وأبي فِراس، وأكثره شعر كتاب الأغاني لأنَّه جمع شعر أهل الطّبقة الإسلاميَّة كُلِّه والمختار من شعر الجاهليّة، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرَّونق والحلاوة إلّا كثرة المحفوظ، فمن قلَّ حفظه أو عَدِمَ لم يكن له شِعْرٌ، وإِنَّما هو نظم ساقط، واجتناب الشِّعر أولى بمن لم يكن له محفوظ، ثمَّ بعد الامتلاء من الحفظ وشَحْذِ القريحة للنَّسج على المنوال يقبل على النَّظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربَّما يقال إنَّ من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفيّة الظّاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيّفت النّفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنَّه منوال يُؤخَذُ بالنَّسْج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة.

ثمَّ لا بدَّ له من الخَلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار، وكذا المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذِّ السُّرور، ثمَّ مع هذا كلِّه فشرطه أن يكون على جمام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الّذي في حفظه.

قالوا: وخير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النَّوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجمام، ورُبَّمَا قالوا إنَّ من بواعثه العشق والانتشاء، ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الَّذي انفرد بهذه الصِّناعة وإعطاء حقِّها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله.

قالوا: فإن استصعب عليه بعد هذا كلّه فليتركه إلى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه، وليكن بناء البيت على القافية من أوّل صوغه ونسجه بعضها، ويبني الكلام عليها إلى آخره لأنَّه إنْ غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلِّها، فربّما تجيء نافرة قلقة وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الَّذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به فإنَّ كلَّ بيت مستقلٌّ بنفسه ولم تبق إلّا المناسبة فليتخيَّر فيها كما يشاء، وليراجعْ شعره بعد الخلاص منه بالتَّنقيح والنَّقد ولا يَضِنَّ به على التَّرك إذا لم يبلغ الإجادة، فإنَّ الإنسان مفتون بشعره إذْ هو نبات فكره واختراع قريحته، ولا يستعمل فيه من الكلام إلّا الأفصح من التَّراكيب، والخالص من الضَّرورات اللِّسانيِّة فليهجرها فإنَّها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة، وقد حظرَ أئمَّة اللِّسان المُولِّدَ من ارتكاب الضَّرورة إذْ هو في سَعَةٍ منها بالعدول عنها إلى الطَّريقة المثلى من الملكة، ويجتنب أيضا المُعَقَّدَ من التَّراكيب جهده، وإِنَّما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم، وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فإنَّ فيه نوع تعقيد على الفهم، وإنَّما المختارُ منه ما كانت ألفاظه طِبْقًا على معانيه أو أوفى منها، فإنْ كانت المعاني كثيرة كان حشوا، واسْتُعْمِل الذِّهنُ بالغَوصِ عليها فَمَنَعَ الذَّوقَ عن استِيفَاءِ مُدْرَكِهِ من البلاغة، ولا يكون الشِّعْرُ سَهْلا إلَّا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذِّهن، ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الأندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد، كما كانوا يعيبون شعر المتنبِّي والمعرِّي بعدم النّسج على الأساليب العربيّة كما مرَّ، فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشِّعر والحاكم بذلك هو الذَّوقُ، وليجتنبِ الشَّاعر أيضا الحُوشِيَّ من الألفاظِ والمُقَصِّرَ، وكذلك السُّوقيَّ المبتذل بالتَّداول بالاستعمال فإنَّه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة، وكذلك المعاني المبتذلة بالشُّهرة فإنَّ الكلام ينزل بها عن البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الإفادة، كقولهم: النَّار حارَّةٌ والسَّماء فوقنا، وبمقدار ما يَقْرُبُ من طبقة عدم الإفادة يبعدُ عن رُتْبَةِ البلاغة إذْ هُما طرفان، ولهذا كان الشِّعر في الرَّبَّانيَّات والنَّبويَّات قليلُ الإجادة في الغالب، ولا يَحْذُقُ فيه إلَّا الفُحولُ وفي القليل على العَشْرِ، لأنَّ معانيها مُتَدَاوَلَةٌ بين الجُمهور فتصير مُبْتَذَلَةً لذلك، وإذا تعذَّر الشِّعر بعد هذا كلّه فليراوضه ويعاوده فإنّ القريحة مثل الضَّرْعِ يَدِرُّ بالامتراء ويَجِفُّ بالتَّـرْكِ والإهمال، وبالجُمْلَة فهذه الصِّناعة وتعلُّمُها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق، وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحَسَبِ الجَهد، ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك"[[1]](#footnote-2).

وكما قَدَّمنا فإنَّ جلَّ كلام ابن خلدون مأخوذ من ابن رشيق، مع ما نلاحظه من كثرة صيغ التَّمريض الَّتي أتى بها كقوله:" وربَّما يقال، وقالوا ، ولهذا كان شيوخنا" ، وتعدُّدِ صيغ الأمر والتَّوجيه والنَّهيِّ كقوله" وليكن بناء البيت، فليتركه إلى موضعه، فليتخيَّر فيها، وليراجع شعره، ولا يضنِّ به، ولا يستعمل فيه، فليهجرها فإنّها .... إلى غير ذلك"، فهذه كما نرى طريقتُه في العرض، ولولا الإطالة في غير طائلٍ لنقلنا البابَ كاملا كما دَبَّجهُ ابن رشيق، غير أنَّنا نشير إليه في موضعه، أمَّا الشُّروط التَّي ذَكَرها فهي في أغلبها من قول المتقدِّمين إلا بعض الشُّروط الَّتي نستطيع الاستظهار أنَّها من بنات فكره، أي من تجديده الخالص، أمَّا استناده على أقوال المتقدمين فإنَّ صيغ التمريض الَّتي أتى بها، ذكرها ابن رشيق منسوبة إلى أعلامها إلا في النَّادر، فمن هؤلاء الأعلام نذكر:

* الفرزدق
* البحتري
* عليُّ بن الجهم
* بكر بن النطاح الحنفي
* ذو الرِّمة
* الأصمعيُّ
* جرير
* ابن قتيبة
* أبو تمَّام
* بكر بن عبد الله المزني
* ديك الجِنّ

هذا وقد اشترط ابن خلدون في عمل الشِّعر شروطا نستطيع تلخيصها كالآتي:

* حفظ الشِّعر العربيِّ ما أمكنَ، ويشترط في ذلك الاشتغال بالشِّعر الإسلاميِّ لأنَّه أُشْرِب بلاغة القرآن، وبلاغة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم الَّذي أوتي جوامع الكلم.
* الإقبال على النَّظم والكثرة منه حتَّى تَسْتَحْكِمَ المَلَكَةُ وتَسْتَحْصِد.
* نسيــانُ المحفــوظ لتمحى رسومـــه الحرفيَّة الظّاهرة وينتقش الأسلوب فيها كأنَّه منــوال أو نمــوذج، وهذا الشَّـــرط على مذهـــب من يراه، فقد أورده ابن خلـــدون بصيغة التمريــــــض، يقول" وربَّما يقال إنَّ من شرطه...إلخ".
* الخلوة واختيار المكان المناسب.
* اختيار الوقت المناسب مثل أوقات البكر عند الهبوب من النَّوم وفراغ المَعِدَّة ونشاط الفكر، وهذا القول قريب من قول ابن رشيق:"وعلى كل حال فليس يفتح مُقْفَلَ بِحَارِ الخَواطِرِ مِثْلَ مُبَاكَرَةِ العمل بالأسْحَارِ عند الهبوب من النَّوم، لكونِ النَّفْسِ مجتمعةً لم يَتَفَرَّقْ حِسُّها في أسباب اللَّهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يُعْيِيهَا"[[2]](#footnote-3).
* بناء البيت على القافية والتَّشديد على ذلك.
* تقييد البيت إذا لم يناسب السِّياق وتركه إلى موضعه الأليق به.
* استعمال الأفصح من التّراكيب، واجتناب المعقَّد منها.
* تجنُّب الضَّرورات الشِّعرِيَّة ما أمكن ذلك فإنَّ ارتكاب الضَّرورة منافٍ لشروط البلاغة.
* اجتناب ازداحم المعاني في البيت الواحد، فلا يكون الشِّعر سَهْلا إلّا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذّهن.
* اجتناب الحُوشيِّ والغريب من الألفاظ والمقصِّر، وكذلك السُّوقِيُّ المُبْتَذَل بالتَّداول وكثرة الاستعمال.
* اجتناب المعاني المبتذلة بالشهرة، فكلُّ مشهور نازل عن طبقة البلاغة.

فهذه إذن كلُّ الشُّروط الَّتي جَعَلها ابن خلدون لعَمل الشِّعر وصناعته، غير أنَّه عرَّج إلى مسألة من البحث لا تَقلُّ أهميَّةً عن عمود البحث نفسه، فإنَّه ذكَر في أوَّل شرطٍ لصانع الشِّعرِ أن يحفظ من جنس الشِّعْرِ ما استطاع، وقيَّد ذلك الشِّعر بالإسلاميِّ وبعض المُوَلَّد، وهذا القولُ غريب في منْحاه على طريقة المُتَقَدِّمين، فأين إذن حفظ مختارات الأعلام الكبار أمثال: المُفضليَّات والأصمعيَّات والحماسة والوحشيَّات، وما شئت من صُنُوف الكُتِب الَّتي جمعت مختار الشِّعْرِ الجاهليِّ إذْ كانوا ولا زالوا يعُدُّونه من أجودِ الشِّعر قيمة، ويَضَعُونَهُ في عَلْيَاءِ المَدَارِج نَفَاسَةً وطَلاوة، فما كاد ابن خلدون يَفْرُغ من كلامه في قضيَّة اللَّفظ والمعنى حتَّى أدركته قريحته، ولم يجد في كلِّ ما ذَكَرَه مقنعًا وأحسَّ أنَّ المتلقي سوف يطلب علَّة اختيار الشِّعر الإسلامي دون ما اشتهر من الجاهليِّ وذاع، فانبرى لسَدِّ الخَّلة وأرْدف فَصْلا كأنَّهُ الذَّيل والتَّتِمَّةُ على كلِّ ما تَقَدَّم، قال:«الفصل السَّابع والخمسون في أنَّ حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ»، ثمَّ باشر كلامه على طريقته في التَّرَسُّل والقياس، وبين ثنايا كلامه نجده قد صرَّح تصريحا علنيًّا من دون خفاء ولا مواربة أنَّ ما عقده في هذا الفصل هو إجابة عن العلِّة لا غيرُ، قال:" ويظهرُ لكَ مِنْ هذا الفَصْلِ وما تقرَّر فيه سرٌّ آخرُ وهو إعطاءُ السَّبب في أنَّ كلام الإسلاميِّين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليَّة في منثورهم ومنظومهم"[[3]](#footnote-4).

**علَّة ابن خلدون في تفضيل الشِّعر الإسلاميِّ على الجاهليِّ:**

لم يتركنا ابن خلدونَ في عَمَهٍ من الضَّلالَةِ ولا في سُجُفٍ من الإبهامات، بل ذكرَ وَجْهَ التَّفضيل كما سيأتي، قال في الفَصْلِ نفسه:" فإنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّان بن ثابت وعُمَرَ بن أبي ربيعة والحُطَيْئَةَ وجَرِير والفرزدق ونصيِّب [بن رباح] وغيلان ذي الرُّمَّة والأَحْوصَ وبَشَّار، ثمَّ كلام السَّلف من العرب في الدَّولة الأمويَّة وصدرًا من الدَّولة العبَّاسيَّة في خُطَبِهِم وتَرْسِيلِهِم ومُحَاوَراتهم للملوك، أرفعُ طبقةً في البلاغة من شعر النَّابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعَلْقَمَة بن عَبَدَة وطَرَفَة بن العبد، ومن كلامِ الجاهليِّة في مَنْثُورِهِمْ ومحاوراتهم، والطَّبعُ السَّليم والذَّوق الصَّحيحُ شاهدان بذلك للنَّاقد البصير بالبلاغة، والسَّبَبُ في ذلك أنَّ هؤلاء الَّذين أدركوا الإسلامَ سَمِعُوا الطَّبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللَّذين عجزَ البَشَرُ عن الإتيانِ بِمِثْلَيْهِما، لكونِهَا وَلَجَتْ في قلوبهم ونَشَأَتْ على أساليبها نُفُوسُهم، فَنَهَضَتْ طباعُهم وارتقت مَلَكَاتُهُمْ في البلاغة على مَلَكَاتِ من قَبْلَهُمْ من أهْلِ الجاهليَّةِ مِمَّن لم يسمعْ هذه الطَّبقة ولا نَشَأَ عَلَيْهَا، فكانَ كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسنَ دِيبَاجَةً وأصْفَى رَوْنَقًا من أولئك، وأرْصَفَ مَبْنًى وأعدلَ تَثْقِيفًا بِمَا استفادوه من الكلام العالي الطَّبقة، وتأمُّلُ ذلك يشهدُ لك به ذَوْقُكَ إنْ كُنْتَ من أهلِ الذَّوق والبَصَرِ بالبلاغة"[[4]](#footnote-5).

فهذه هي علِّة ابن خلدون في تفضيل الشِّعر الإسلاميِّ على الشِّعر الجاهليِّ، غير أنَّ الأصل في قبولها وفَهْمِهَا على وَجْهِهَا راجِعٌ إلى الذَّوقِ والبَصَر بأفانينِ البلاغة، وهذا الأمر لا يغني فيه شرح الشَّارحين ولا تعليلات المُتَكَلِّمين، بل هو ضَرْبٌ من الإعجاز لم يكن فيه ابن خلدون بِدَعًا ولا مُسْتَحْدِثًا، بل سَبَقَه في هذا النَّوع من التَّعْليل كثيرون، سوى أنَّنا نَجِدُه جلِيًّا مُتَمَثِّلا في قول إمام البلاغة عبد القاهر الجرجانيِّ حين يقول:" والبلاءُ، والداءُ العَيَاءُ أَنَّ هذا الإِحساسَ قليلٌ في النَّاس، حتَّى إِنَّهُ لَيَكُونُ أنْ يَقَعَ للرَّجُلِ الشَّيْءُ من هذه الفُرُوقِ والوُجُوهِ في شِعْرٍ يقوله أو رِسالةٍ يكتُبها، الموقعَ الحسَنَ ثم لا يَعلمُ أنه قدْ أحْسَنَ، فأمَّا الجَهْلُ بمكَانِ الإِساءة فلا تَعْدمُه، فَلَسْتَ تَمْلِكُ إذاً مِنْ أَمْرِكَ شيئاً حتَّى تَظْفَرَ بمَنْ له طبعٌ إذا قَدَحْتَه وَرِيَ، وقلبٌ إذا أرْيتَهُ رَأى، فأمَّا وصَاحِبُكَ مَنْ لا يَرى ما تُريه، ولا يهتدي للَّذِي تَهديه، فأنتَ رامٍ في غَيْرِ مَرْمًى، ومُعَنٍّ نفسَك في غيرِ جَدْوى، وكما لا تُقيمُ الشِّعْرَ في نَفْسِ مَن لا ذَوقَ له، كذلك لا تُفهِمُ هذا الشأنَ مَنْ لم يؤْتَ الآلةَ الَّتِي بِهَا يَفْهمُ، إلاَّ أنَّهُ إنَّمَا يَكُونُ البَلاءُ إذَا ظنَّ العادِمُ لها أنَّهُ أُوتِيَها، وأَنَّهُ مِمَّنْ يَكْمُلُ للحُكْمِ، ويَصحُّ منه القضاءُ، فجعَل يقولُ القولَ لو علِمَ غِبَّهُ لاسْتَحْيى منه، فَأمَّا الَّذِي يُحِسُّ بالنَّقْصِ مِنْ نَفْسِه، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ عَدِمَ عِلمًا قد أوتِيهُ مَنْ سِواه، فَأَنْتَ مِنْهُ في رَاحَةٍ، وَهُوَ رَجُلٌ عاقلٌ قد حَمَاهُ عَقْلُهُ أنْ يعْدُوَ طَوْرَهُ، وأَنْ يَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ بأهلٍ لَهُ"[[5]](#footnote-6)، ولم يهنأ بال ابن خلدون بعد كلِّ ما ذكَرَ حتَّى عزَّز قوله بقصِّة يرويها مع أحد شيوخه يقول فيها:" ولقد سألتُ يَوْمًا شَيْخَنَا الشَّريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا، وكانَ شَيْخَ هذه الصِّنَاعَةِ أخَذَ بِسَبْتَةَ عَنْ جماعة من مَشْيَخَتِهَا من تلاميذ الشَّلُـوبِين، واسْتَبْحَرَ في علم اللِّسانِ وجاء من وراء الغاية فيه، فَسَأَلْتُهُ يَوْمًا ما بالُ العَرَبِ الإسلاميِّينَ أعلى طبقةً في البلاغةِ من الجاهليِّيـن؟ ولم يكنْ لِيَسْتَنْكِرَ ذلك بِذَوْقِه فَسَكَتَ طويلا ثمُّ قال لي: والله ما أدري، فقلت: أَعْرِضُ عليكَ شَيْئًا ظَهَرَ لي في ذلك ولعلَّه السَّبب فيه، وَذَكَرْتُ له هذا الَّذي كَتَبْتُ فَسَكَتَ مُعْجَبًا ثُمَّ قال لي: يا فقيهُ هذا كَلامٌ من حَقِّهِ أنْ يُكْتَبَ بالذَّهَبِ، وكانَ مِنْ بَعْدِهَا يُؤْثِرُ مَحَلِّي وَيُصِيخُ في مجالس التَّعليم إلى قَولي وَيَشْهَدُ لي بالنَّبَاهة في العلوم"[[6]](#footnote-7).

**جَودَةُ الملكة من جودة المحفوظ :**

خرج ابن خلدون من باب التَّفضيل لِيَلِجَ باب الوصف والانطباع، وهنا نجده يأسِّسُ لنظريَّة «جودة الشِّعر»، مستندًا على أهم دعائم عمل الشِّعر وهي الحفظ من جنسه، ويمكن تلخيص نظريته من كلامه هو مع شيء من التَّصرف اليسير بما يناسب مقام العرض كالآتي:

* على قَدْرِ جودةِ المحفوظ تكون جودةُ المَلكة الحاصلة عنه، فمن كان محفوظُهُ من أشْعَارِ العرب الإسلاميِّين شعر حبيبٍ أو العتابيِّ أو ابن المعتزِّ أو ابن هانئ أو الشَّريف الرَّضِيِّ أو رسائل ابن المُقَفَّع أو سَهْلِ ابن هارون أو ابن الزَّيَّات أو البَدِيع أو الصَّابيء، تكون ملكتُه أجود وأعلى مقامًا ورتبة في البلاغة مِمَّن يحفظ شعر ابن سَهل من المُتَأخِّرِين أو ابن النَّبيهِ أو تَرَسُّلِ البَيْسَانِيِّ أو العِمَادِ الأصْبَهَانِيِّ لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك.
* على مِقْدَارِ جودة المحفوظ أو المَسْموعِ تكونُ جَوْدَةُ الاستعمالِ مِنْ بَعْدِه، فالمَلَكة الشِّعْرِيَّةُ تنشأ بحفظ الشِّعر، وملكةُ الكتابة بِحِفْظِ الأَسْجَاعِ والتَّرْسيل، والعلميَّة بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار، والفقهيَّة بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الأصول، ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلِّهم قاصرين في البلاغة، وما ذلك إلَّا لِمَا يَسْبِقُ إلى مَحْفُوظِهِمْ ويمتلئ به من القوانين العلميَّة، والعبارات الفقهيَّة الخارجة عن أسلوب البلاغة والنَّازلة عن الطَّبقة لأنَّ العبارات عن القوانين والعلوم لا حظَّ لها في البلاغة، فإذا سَبَقَ ذلك المحفوظُ إلى الفِكر وَكَثُرَ وتَلَوَّنَتْ به النَّفس جاءت الملكة النَّاشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم، وهكذا نَجِدُ شِعْرَ الفُقهاء والنُّحاة والمتكلِّمين والنُّظَّار وغيرهم مِمَّن لم يمتلئ من حفظ النَّقَيِّ الحُرِّ من كلام العرب، وأَمَّا الكُتَّابُ والشُّعَرَاءُ فليسوا كذلك لتخيَّرِهم في محفوظهم ومخالطتهم كلام العرب وأساليبهم في التّرسّل وانتقائهم الجَيِّدَ من الكلام.

وفي الختامِ نَراهُ يَسْتَأْنِسُ بعدَ كُلِّ ما تَقَدَّم بقول صديقه الوزير ابن الخطيب السَّلمانيِّ، وكلامُ ابن الخطيب في أبواب الشِّعر والنَّقد كبقيَّة كلام أهل النَّقد، له ميزانه وشَرَفُه ومكانته، وذلك لتَضلُّع الأخير بالشِّعر والكتابة والأدب والنَّقد، قال ابن خلدون:" ذاكرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالأندلس من بني الأحمر، وكان الصَّدْرَ المُقَدَّم في الشِّعْرِ والكتابة فقلت له: أجدُ استصعابًا عليَّ في نظم الشِّعْرِ متى رُمْتُه، مَعَ بَصَرِي به وحِفْظِي للجيَّد من الكلام من القرآن والحديث وفُنُونٍ من كلام العرب وإنْ كان محفوظي قليلا، وإنَّما أَتَيْتُ واللهُ أعلم بحقيقة الحال مِنْ قِبَلِ ما حَصَل في حفظي من الأشعارِ العلميِّة والقوانين التَّأليفيَّة، فإنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَتَيْ الشَّاطِبِيِّ الكبرى والصُّغرى في القراءات وفي الرَّسم واستظهرتهما، وتدارست كتابيْ ابن الحاجب في الفقه والأصول، وجُمَل الخَوَنْجِيِّ في المنطق، وبَعْض كتاب التَّسهيل، وكثيرا من قوانين التَّعليم في المجالس، فامْتَلَأ محفوظي من ذلك وَخُدِشَ وَجْهُ الملكةِ الَّتي اسْتَعْدَدْتُ لها بالمحفوظ الجَيِّدِ من القرآن والحديث وكلام العرب [تعاق القريحة عن بلوغها]، فنَظَرَ إليَّ سَاعَةً مُعجبًا، ثمّ قال: للَّهِ أنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هذا إلَّا مِثْلُك؟!"[[7]](#footnote-8).

1. ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج1 ص 790. [↑](#footnote-ref-2)
2. ابن رشيق، المصدر السَّابق، ج1، ص 208. [↑](#footnote-ref-3)
3. ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج1، ص 798. [↑](#footnote-ref-4)
4. ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج1، ص 798. [↑](#footnote-ref-5)
5. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المَدَني، مصر-القاهرة، ط3، 1992م، ص 549. [↑](#footnote-ref-6)
6. ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج1، ص 798. [↑](#footnote-ref-7)
7. ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج1، ص 798. [↑](#footnote-ref-8)